(٢٣)

لا إله إلا الله
قديم وقادم وقيام
بداية ونهاية لقائم أمر وغاية
يقومها الإنسان ليكون بها عن ربه وعبده العنوان

حديث الجمعة

٢٦ جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ - ٢٣ نوفمبر ١٩٦٢ م

الحمد للـــه

الحمد للـــه والشكر للـه

له الحمد والشكر على ما أنزل من سكينته على القلوب، وعلى ما أنزل على أرضه من السلام، وعلى ما أنزل من رحمته على النفوس.

لا موجود بحق إلا هو، السلم معه، والسلام منه، لا شريك له.

ها هي نبوءة الروح تصدق، ويتحقق للأرض السلام، ويتخلى أهلها عن طبيعتهم من التنافر والخصام من رحمته.

ها هي الدورة تتم للسلام بقيام وبدء، وتتم للخصام بزوال وانعدام إلا اللمم. فنسأله تعالى أن يتم نعمته بالسلام، حتى يكون جامعا مديدا تاما شاملا لبقاع الأرض وأممها. ونسأله برحمته أن يطول هذا السلام في دورة ممتدة بمنه وكرمه ورحمته، حتى يستكمل الناس فيه نورهم، ويستقبلوا به منه مسرتهم، وتهدأ نفوسهم من قلقلها، فيستطيعون ردها إلى بارئها، مهيأة لرحمته، مستقبلة لفيضه، مستكملة لنورها منه، أعلاما عليه، ووجوها له، من ورائها بإحاطته، وفي معناها بذكره، وعليها برحمته، ولها بقدرته، مدركة حقيقتها وكمالها في معاني ذكره وعبده، يلحقه بلطيفه في كثيفها فتسقط عنها أوزار كثافتها لمبانيها، بكشف الغطاء لها عنها بالحرية لمعانيها، فتشهده من وراء كل كثيف بلطيفه، وجها له لوجوه

لها، ووجوها له لوجه بها، فتشهد أنه لا إله إلا الله، بدخولها في حصن لا إله إلا الله، وقيامها بلا إله إلا الله، يبعث بها السلام، ويتواجد بها الإسلام، وتحيا بها الأرض من ذاته له بعد موتها عنها بعثا للحق به، فيقوم بها المسلم في نفسه وبنيانه، ويفيض بها المؤمن بقلبه وعنوانه.

هكذا يكون الإسلام في دورته مع كل إنسان في حضرته، الناس جماع حضراته، لواحدية حضراته لصفاته، ولأحدية معناه لأحدية ذاته، بقيامه على كل نفس بما كسبت.

النفوس فيه بين فرق وجمع، بفرق ظاهرها عن باطنها، وبفرق باطنها عن ظاهرها، في فرق حاضرها عن ماضيها وقابلها، وبجمع حاضرها على ماضيها وقابلها، علمت نفس ما قدمت وأخرت.

علمت نفس ما هي وما عَلِمت، لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وشاء من هو منها أقرب لها من حبل الوريد أن تعلم أنها منه، وأنه لها، وأنه أقرب إليها معها من حبل الوريد، فيشهد معناه في معنى من هو أقرب إليه من حبل الوريد، فيراه وجها له، ويقومه عبدا له، في حال اجتماعه وجمعه على أصله وفرعه، على مستقبله وقبله، في حاضره لمعناه قائما على حاضره بمبناه أحدية للزمان، في معنى الزمان له والدهر عنده، وأحدية للمكان في معنى الوجود له والمطلق معه، وأحدية للحق والخلق في معنى العبد والرب له، والسرمدي من ورائه بإحاطته. هكذا يكون الإنسان، يوم يصبح الناس في معنى الإنسان مع من لاقوا من إنسان، ويوم يصبح هيكل الإنسان عن معنى الإنسان عنوان إنسان، يوم يقوم القلب بيت الحق حقا، ويوم يتواجد الذكر المحدث بالذكر القديم فيكون له معنى وقيام، ويصبح للدلالة على قديمه له ختما وبدءا وعنوانا، ذكرا لإنسان عن إنسان في إنسان الكل لله، لا يذكر غيره بالوجود والفعل مذكورا، ولا يقوم غيره بالرحمة وبالحياة مشكورا. الإنسان له أبرز المعاني منه، بقيام معناه. الإنسان له ظاهر غيبه وباطن شهادته، بالإنسان للإنسان يسفر وجها له، وبالإنسان عن الإنسان يغيب كنزية له، والإنسان بغيبه وشهادته قيام حقه، ذكره وعَلَمُه وكتابه وعلمه وحكمته وأمره. يوحده الإنسان بالإنكار على نفسه في عزلة عنه بوجود له، ويتوحده ربه بوحدانيته بمعاني العلم عليه والوجه له، والعلمية لمعناه كلمة تامة له.

لا إله إلا الله، ولا عارف ولا معروف إلا الإنسان. لا إله إلا الله، ولا موجود ولا موجد إلا الإنسان. لا إله إلا الله، ولا عاقل ولا معقول ولا معنون ولا عنوان إلا الإنسان. لا إله إلا الله، ولا قيام لها ولا قيام بها إلا الإنسان.

للإنسان، في الإنسان، لا إله إلا الله تتواجد به فيه له بطبائعها في طبيعته صورا وألوانا، وبحقائقها في حقيقته كتبا وأسرارا، يجمعها العنوان في لا إله إلا الله. لا إله إلا الله، فرقة الإنسان يوم يتفرق

الإنسان بطبائعه، أو بألوانه، أو بمعانيه، أو بمعارجه ومراقيه، أو بنهاياته، أو بلانهائياته وببداياته، وبما قبل بداياته، ثم يتجمع فيها الإنسان بفرقته، فيقومها لا إله إلا الله في أحديته زمانا وأزمانا، وفي أحديته مكانا وإمكانا، وفي أحديته طبيعة، وفي أحديته فطرة، وفي أحديته وجودا وموجدا وموجودا، وفي أحديته شهودا، شاهدا ومشهودا، وفي أحديته قياما بآحاد واحدا موجودا. لا إله إلا الله هي الإنسان، والإنسان هو لا إله إلا الله.

ومهما فرط الإنسان في أمره في لا إله إلا الله، فإن لا إله إلا الله لا تفرط في الإنسان. إن الإنسان ما أخذ سمت الإنسان تكوينا وعنوانا قامت عليه لا إله إلا الله، بما كسب من لا إله إلا الله. وقامت عليه لا إله إلا الله بما اكتسب من الغفلة عن لا إله إلا الله حتى يقوم بلا إله إلا الله معنى وقياما، فيحاسب الإنسان نفسه، وكفى بنفسه عليه حسيبا بلا إله إلا الله. وبلا إله إلا الله يجازي الإنسان نفسه. ما يعمل من مثقال ذرة خيرا يره، وما يعمل من مثقال ذرة شرا يره. وبلا إله إلا الله نصر الله نفسه برحمته على نفسه بعدله في معنى القول بالعذاب. وبلا إله إلا الله ما من شيء إلا ويسبح بحمده. وبلا إله إلا الله ما من ذرة في السموات أو في الأرض إلا ويأتي بها الله.

بلا إله إلا الله غلبت رحمته عدله، وغلبت نعمته جزاءه. وبلا إله إلا الله تغلب نوره على ظلامه، وحقه على باطله، وسلامه على خصامه، وجمعه على فرقه، وأحديته على صوره، وبقاؤه على وهمه، وأبده على تجلياته، وأزله على كنزيته.

بلا إله إلا الله، يذكرها اللسان، ويقومها الجنان، تخرج من الفم، وتستقر في القلب والوجدان، تصدر عن العقل، وتستقبلها النفس، وتعمل بها الجوارح، فتحيا بها الذات، فتقوم بها دورة الحياة في عالم الفرد من الغيب إلى الشهادة فيه، ومن الشهادة إلى الغيب له، في فرد الإنسان سالكا طريق الحياة، بادئا بنفسه، قاصدا باب الرحمن في بيته بقلبه، طالبا وجه الإحسان في نفسه لمعنى عبده، وتقوم بها الجماعة إذ يقوم بها الاجتماع، وينادي مؤذن قبلته بالتجمع فتقوم الصلاة، ويتحقق الإصلاح ويحيا الصلاح، ويتواجد الفلاح، وتكشف الحقيقة للنفوس، فتسلك الطريق، وتبدو للسالك فيقوم الإيمان مع بوادر فجر السلام، فردا أو جمعا، في أحديته، وأحدية جمعه، وأحدية الاجتماع فيه بلا إله إلا الله.

هكذا تقوم لا إله إلا الله. وهكذا تنادي لا إله إلا الله لغة الوجود لسميع، ووجه الشهود لبصير، فيقومها المستجيب لها والملبي لندائها، والبصير لها المتابع لشهودها، فيقومها لا إله إلا الله لنفسه، ثم يقومها نداءها ووجهها أنه لا إله إلا الله لجمعه.

هذا هو الإسلام، وفقه الإسلام، ما دار فقه الإسلام حول هدف لتفقيه المسلم فكانت لا إله إلا الله هدفا للمسلم، فدار حولها كعبة له فيمن قامته فقامها مرآة له ليكون على دينه، من كانته فكانها فحيا قلبه، وينطلق ويقوم بها وجهه فيشرق، وقد وضع وزره، فشهد وشهد لا إله إلا الله.

لا علم في الإسلام، إلا بالعلم عن لا إله إلا الله، ما دار العقل والقلب ودارت غاية النفس حول لا إله إلا الله، وركنت كل معرفة إلى لا إله إلا الله، فكانت للإنسان مركز وجوده، وأصل وجوده، ودائرة وجوده، هو لها ما هي له في وجودها لوجوده، وفي وجوده لوجودها، فسلمت معرفته، واتسع علمه، وانتشر حوله هديه، نورا يمشي به في الناس، يهدي به الله، وينشر به الله رحمته ونوره، فكان ماء الحياة يتساقط من سماء الحياة بمعناه على أرض الرحمة بالحياة لمعناه فيمن صافاه وتابعه لمعناه نفسا وذاتا لمولاه، يمتد بالحياة إلى أرض القلوب ومعاني العقول، في إنسانية الأرض إنسانا لله وعبدا لله.

إن إنسان الأرض بجماعه وبمفرداته على تفاهته من حيث ذاته من ترابها، في حال من العظمة في إنسانية الله، من حيث قيامته في إمكانياته بجماعها إنسانا وفردا. إن إنسان الأرض بألوانه، وبفرقته، وباختلاف درجاته، وبتقادم وتجدد حيواته، وباختلاف طباعه، وبجماع معادنه وأطباعه، وبقيامه في وحدة من قيام على اختلاف أوضاعه، إنما يمثل الإنسان الأكبر في أحديته، كما يمثل الإنسانية الكبرى في حضرتها بمفرداته...

فرده بجمعه إن صح فهو عبد الله، وإنسان الله، وذكر الله، وجماع بشريته، وإحاطة أرضه، وطي سمواته، كلمة الله وذكره، وآية الله وعلمه، وكتاب الله ونشره، ويد الله وبسطها، وقدم الله وسيرها، وعين الله وسهرها، وأذن الله وسمعها، وعلم الله وإحاطته، يُظهره على الدين كله، يشهده خلق نفسه، يشهده خلق السموات والأرض، يتخذه عضدا، يجعله وجها من ورائه بإحاطته، يجعله يد قدرته، الأرض جميعا قبضته يوم القيام به، إنسان لا إله إلا الله، يوم تقوم لا إله إلا الله على إنسانها في معنى إنسانه، فيقوم الإنسان عنوانا على عنوانه، من ربه في قيامه وعيانه في فرد جمعه بأهلها، وأحد جنسه بأزلي عنوانها ذي المعارج أينما نولي فوجهه.

إن في شهادة أنه لا إله إلا الله كنوز الحياة، وكنوز السعادة، وكنوز العلم، وكنوز المعرفة، وكنوز القرب، وكنوز التواجد في اللانهاية بقيام معنى اللانهاية في قائم لا إله إلا الله، فيمن قامت عليه، فكان عين الحق من الله، كان حقا من الله، كان عين عبد الله، كان أول عباد الله لعباد الله، كان محمدا رسول الله وكان آدما لأنبياء لله، وكان روح قدس لأقداس لله، وجماع كلمات لله إنسان الله، كان كلمة تمت في الله. هذا ما كان محمد وما جاء به محمد للبشرية لتكونه في متابعته. فهلا شهدنا لا إله إلا

الله بعقولنا، ووعينا، وعقيدتنا، فاستقمنا على لا إله إلا الله بقلوبنا طريقنا وجمعنا ووحدنا، فدخلنا في لا إله إلا الله، حصننا وعزتنا وبيتنا وكعبتنا، وشرفنا ونعمتنا، فكسبنا لا إله إلا الله، فكسبنا أمانة الله معنا، فكنا عبادا لله، وذكرا لله، ووجوها لله؟

على هذا قام الإسلام، وبه جاء مؤسسه كتابا، ومجدده فطرة، ومبشره قياما. فهل على أنفسنا في سابق أقمناه، أو في حاضر راعيناه، أو لقابل رجوناه؟ إنكم هنا في بيت الروحية تستمعون لمؤذن للصلاة، من لا إله إلا الله، وتُدعون إلى حوض لا إله إلا الله، ومائدة لا إله إلا الله، وطريق لا إله إلا الله. فإن استجبتم فإنكم تستظلون بظل لا إله إلا الله، وتسقون من ماء لا إله إلا الله، وتطعمون من مائدة لا إله إلا الله، وتمتدون بنور لا إله إلا الله، وتشعل فيكم مصابيح الحياة من جذوة الحياة بلا إله إلا الله.

إنكم ثمرة الوجود بلا إله إلا الله، فلِمَ لا تكونون ثمرة طيبة، وكلمة طيبة، وأرضا طيبة، وزرعا طيبا، فتكونون أصلا للا إله إلا الله شجرة طيبة وهي أصلكم، أنتم لها فرع، وكم يطيب لأصلكم بلا إله إلا الله أن تكونوا به وأنتم فرعه أصلا له لمن يطلبها من عملها بعملكم، أو يعرفها معروفة بتعريفكم، أو ينشدها بتشويقكم وحديثكم، أو يسمع عنها بالسماع لكم أو السماع عنكم، أو يجهلها أو يجهل بها بخاصمتكم أو بجهله عنكم.

لقد جُعل الإسلام في لا إله إلا الله، فكانت عِلمه وعَلَمه وطريقه ورحمته، وكانت بذلك بدء الإسلام للمسلم دين فطرة، وكانت نهاية المطاف للمؤمن دين يقين، ذلك دين القيمة، ذلك دين من قام الله عليه، فأقامه على الناس، الله عليه شهيد، وهو على الناس شهيد، وهو في الناس شهيد، والناس عنده له وعليه شهداء. لم يجعل الله الإسلام في القراطيس والمحابر، وقد جعل الإسلام في قومه ينظر في وجوههم، ويقرأ في معاملتهم، ويكسب من قلوبهم بمحبتهم، وينشر من ذواتهم بقدوتهم.

ضرب ابن مريم مثلا للمسلم يوم يقوم المسلم بمعناه كشهيد، يوم يكون المسلم لله عبدا وعلى الناس شهيدا، فيدعى الناس بإمامهم، لا دينونة على من دخل في قلب كلمته، ويكون ربه عليه شهيدا، وما ربه إلا عبدا كان عليه شهيدا ورسولا لمن هو عليهما من الغيب شهيدا إنسان الله وعبده.

هذا هو الإسلام عند المسلم، فالمسلم أمة في معناه وذاته، وأمة في جمعه وأخوته وأخواته، كل المسلم على المسلم حرام، المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا، المسلم للمسلم عنوان في سبقه وقائمه وقادمه، المسلم صلح فوقه الآباء، وجاهد تحته الأبناء، واستقام معه الأخوة لبنات لبناء، وبيت لقبلة، يستقبلهم الناس وجه الله، ويصلون الناس صلة الله، يسكنون لهم في أنفسهم بما أنزل الله عليهم من

سكينته، ويمتدون بسكينتهم في الناس رحمة الله للناس، وعباد الرحمن بين الناس. فماذا كان المسلمون بعد إمامهم المسلم لربه، يوم أسلموا له، فكانوا المسلمين؟ انظروهم كيف جهلوه فغيبوه ففقدوه، وكيف عموه بينهم بأهله فتركوه، وكيف زاحموه في شهوده فظاهروه، وكيف هم يوم احتجب من بينهم نصب له، وقام لهم عديد من النصب منه فما طافوه ولا حجوه، ولا بقلوبهم وصلوه، ولا بعقائدهم صلُّوه، ولا بصفائهم اتصلوه، ولا بعقولهم أدركوه فعقلوه، ولكن بدنياهم معبودة جهلوه فما عرفوه، وصارحهم فما صدقوه. (ما عرفني غير ربي)[1]، ولكنهم على شاكلتهم قدروه، (وا شوقي إلى أحبابي)[2]، فما اتعظوه ولا في جديد نظروه أو انتظروه، (قوم يؤمنون بي ولم يروني، [لهم من الله ما لي])[3]، ولكنهم بخاتم النبيين وصفوه وما فهموه، ولا روحا آمنوه، فزعموا لأنفسهم ما لهم على وهم بهم، وسلبوهم التقدير والقدر عندهم، واهميهم أهل السبق (أما أنتم فأصحابي)[4]، أنتم من صاحبوا جسدا وهموه كأجسادهم، أما هم فأحبابي يعرفوني روحا لأرواحهم وباطنا لأشباحهم.

ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب، فما كان للناس أن يعرفوا الحق في عبده ورسوله، وهو لهم بينهم وجها لوجه من شبح لشبح، فكان لا بد وهو الحق من احتجابه بغيبة عنهم أو احتجابهم بإكبار له عنه حتى يعرفوه، وكان لا بد أن يتخذ من دونهم سترا من إنسان في عنوان ليعشقوه يوم يحنون إليه بالوجدان ليلاقوه يوم يتذكروه وقد حرموه، أو يذكروه وقد أكبروه، فجعل الله من أهل بيته عنه حجابا لهم ليقوموه فما عرفوه بل أنكروه وجحدوه. وبذلك كسبه المتأخرون مع سفنه، وفقده المتقدمون مع أنفسهم.

هذا هو عبد الله.. هذا هو رسول الله.. هذا هو الحق من الله.. هذا هو الوجه لله.. هذا هو القانون في الوجود.. هذا هو الحق في الشهود.. هذا هو المعنى في التداني والصعود.. هذا هو الفطرة للموجود.. بلا إله إلا الله، بها قام عبد الله، ومنها كان رسولا من الله، فكان للأرض والسماوات وجه الحق من الله، به جاء الحق وزهق الباطل.

بهذا قام رسول الله، على مكث يتكاثر، وبجديد يقوم، وببيان يصدر، وبنداء مستمر يجهر، وفي قيام يتجدد لا يغيب، كوثر العبودية لله، ودوام العبد له، ومعنى الحياة فيه، في معنى العبودية له، نورا يمتد في ظلمات النفوس، لا يحتجب ولا يغيب، لكل قوم هاد أحواض رحمة الله، ونار مقدسة مشتعلة بالدفء والحياة، لا تخبو ولا تخمد، نار الله الموقدة، بورك من فيه، وبورك من حوله، نفس الله المحذرة، قامت بشيرا للبشر، ونذيرا للظلام، محذرة من الغفلة والعدم. قامت وبعثت من غلبة فيوض حضرة الرحمة على موازين العدل منهما خلقت وبهما تخلقت وحقت، رحمانا وعبدا للرحمن، ورحيما وعبدا للرحيم، وحقا وعبدا للحق.

ذلك هو عبد الله، من عرفناه محمدا، ونعتناه ابن عبد الله، وهو عين عبد الله، نعم هو عبد الله، وابن عبد الله، وكم كان عبدا لله، وكم كان ابنا لعبد لله، وكم هو كائن عبدا لله، وكم هو كائن ابنا لعبد لله، (ما أعطيته فلأمتي)[٥]، (من كان مني، كنت منه)[٦]، من صارني صرته، من تواجدني تواجدته، لا فرق بيني وبينكم، ولا فرق بيني وبين ربي ورفيقي الأعلى، بي كنتم له عباد، وبما علمني كنت، وكنتم فيه في حضرة الرشاد، وكنتم معي في سبيله سبيلي، وكنت معكم في سبيله سبيلكم، وبرحمته كنت فيكم رحمته، (أنا رحمة مهداة)[٧]، ولكن يا حسرة على العباد ما يأتيهم من ذكر محدث إلا كانوا به يهزؤون، (أنا فرطكم على الحوض، يؤتى بأقوام أعرفهم ويعرفوني، ويؤخذ بهم دوني، فأقول أمتي أمتي، فيقال لي ما تدري يا محمد ما فعلوا بعدك، فأقول ما فعلوا بعدي فيقال لي أحدثوا بعدك، فأقول أنا بريء ممن أحدث بعدي)[٨]. هكذا أنا معكم كنت، وهكذا معكم أكون، وهكذا في قديم قمت، وهكذا في قادم أقوم، وهكذا أنا في كل حاضر قائم، ما عرفني غير ربي. بدأ الإسلام غريبا كلما بدأ ويعود غريبا كلما عاد.

إن الذي عرف أنه فرط قومه على الحوض قد كان في سبق في أمم وفي جمع، في رسالات قامها وعرفها وختمها فرطا على الحوض. إن الذي عرف أن الناس أحدثوا بعده، أو يحدثون بعده، عرف أنهم في قديم أحدثوا بعده، وأنهم في قادم سيكونون على ما كانوا في قديم، وهو فيهم على قديمه قائم، مبعوث ليتمم مكارم الأخلاق، وهو في قادمهم على ما هو في قائمه، لا يعرف إلا رحمة الله، ولا يقوم إلا بمكارم الخلق من الله، ولا ينطق بالتعريف إلا بالحق في صمد الله وصمد رسالته بدائم كوثر رسوله.

(اللهم إني أعوذ بك أن أقول زورا أو أن أغشى فجورا أو أن أكون بك مغرورا)[٩]. هكذا كان دعاؤه، وهكذا كان في الله رجاؤه، فحقق الله له دعاءه، وأوصل إليه برحمته، وبعزته، وبقدرته، رجاءه.. فما نطق زورا، وما فعل غرورا، وما زلت له قدم، وما أفلت له لسان، لا ينطق عن الهوى، فقد كان هو عين الوحي الموحى، وظاهر وحي يوحى، كان رسول الله.. كان عبد الله.. كان كل شرفه أنه عبد الله.. كان كل عمله أنه رسول الله.. كان كل خلقه رحمة الله.. كان قيامه كتاب الله.. كان علمه علم الله عن نفسه.. كان توحيده توحيدا لله لنفسه.. كان ذكره ذكر الله لنفسه.. تكلم نبيا، وتكلم عبدا موحىً إليه، وتكلم حقا قائما.. نطقه نطق الله، وعلمه علم الله، وكلامه كلام الله.

أظهره ربه على الدين كله، فكان بظاهره ظاهر الدين كله، وبغيبه غيب الدين كله، وبعلمه علم الدين كله، وبكتابه كل كتاب، وبإنسانه كل إنسان، وببيانه كل بيان، وبعنوانه كل عنوان، وبعبوديته كل عبد وكل العباد، وبرشاده كل رشد وكل الرشاد. كانت لا نهائية الله في لانهائية عبده به، وفي لا نهائية علمه عنه، وفي لانهائية رشده للناس به، في لانهائية حكمته، ولانهائية ظهوره، ولانهائية بيانه، ونطقه،

وأثره، وسنته. في كل أمة جاء بلغة قومه ليبين لهم دين الفطرة، فنطق في الحكماء في مشارق الأرض ومغاربها، يقوم ويتقلب في الساجدين، وينطق ويظهر بالحكمة في العالمين، ويجدد طريقه في المعلمين، ويواصل رحمته في العاملين، فيمن كانوا بالرحمة على الناس قائمين، مدثرا بالأجساد، متكاثرا بالأمجاد.

هل عرفنا عبد الله؟ هل عرفنا رسول الله؟ هل عرفه آباؤنا؟ هل عرفه مجتمعنا؟ إن حررنا العقل وحكمناه، وصدقنا العقل وتابعناه، فقليل من العباد الشكور، وقليل وأقل منهم الذكور، ما عُرف رسول الله بعد، وما شُهد رسول الله بعد، وما أَدرك الناس عن رسول الله بعد، إلا قلة ممن رحم، وقليل ما هم، في قوم جفوناهم وجافيناهم، ونعتناهم أهل المواجيد، وهم أهل الوجود والشهود، وهم أهل اليقين والمعرفة والكتاب والسجود، هم عترة رسوله، وهم صنو كتابه، وهم معالم بيته، وهم سفن ركبه، وهم نبرات صوته، وهم آذان سمعه، وهم يد فعله، وهم قدم سيره. هم فمه ولسانه، هم رحمته وجنانه، هم طلعته وعنوانه، جافيناهم وجفوناهم، وفي المقابر ذكرناهم، ولقضاء الحاجات في مقابرهم قصدناهم، فنذرنا النذور، وضربنا الطبول، ورفعنا البيارق، وانتظرنا الخوارق. تجددوا فما أدركنا دوام التجدد، وغابوا وتواجدوا، فما أدركنا مواصلة التواجد، فما في أنفسنا ولا بين الأحياء طلبناهم، ولكن في دوام بين المقابر ذكرناهم، وبين الجيف قصدناهم، وقلنا نحن الأحباب في الله، ونحن الأخوة، ونحن الإخوان في الله، ونحن أبناء الطريق، ونحن نصب الإيمان، وما قصدنا في حاضرنا لنا عنوانا إلا من أهل البهتان، نعنون به موهوم الصدق ومزعوم العرفان، والحق بيننا في قيام، والبيان يدوي في قلوب أهل الوجدان من عباد الرحمن، فاختفى بيننا كل صادق من إنسان زكاها، واختال باسم التقوى كل إنسان دساها، في الجمع يقوم بالزور والبهتان، يجهل معنى الإنسان ويزعمه الإنسان، يجافي الرحمن ويطلب بجهله وباسمه الشيطان، يتابع الطاغوت باسم طاعة اللاهوت، ويجهل شرف الناسوت...

فما أدركوا ما تردد ألسنتهم من لفظ لا إله إلا الله، ولا ما تنطق شفاههم من لفظ محمد رسول الله، شهادة لا يشاهدونها لا في الله ولا في رسول الله، وأسماءً لا يدركونها ولا يحسونها، ولكن ألفاظا بألسنتهم يلوكونها بعيدة عن لا إله إلا الله، وبعيدة عن محمد رسول الله، وبعيدة عن كل محمد لله، وبعيدة عن كل حق من إنسان الله، في حاضر الله وفي غيب الله، في قابل الله أو في قديم الله.

اللهم يا من جعلت من عبدك الحق لنا، وأنزلت عليه جديدا من الحق على قائم فيه بالحق رحمة بنا، وكثرته لنا حقا يتكاثر لدوام له في دوام لنا، وأوسعت عطاءه حقا يتناثر فضلا علينا، وجعلته بتكاثره في وحدته بمعناه مائدة السماء للأرض، وحوض الماء للحياة، جعلته ماء الحياة الطيب، ونهر الحياة الطيب لطيب الحياة من بحرك الوافر، ومحيطك الزاخر لا حد له ولا إحاطة به، اللهم يا من جعلت

المعرفة بك في القيام به والتعارف إلى النفس فيه، قياما بك وتعارفا عليك، اجمعنا عليه فينا بفضلك. اللهم يا من جعلت منه الرحمة يبذلها من بحارها كيف يشاء، ومن غير حساب منك عن فعل بها، وجعلته الرحمة بعينها، وجعلته رحمة مهداة منك بالنسبة لنا، وحقا قام علينا به بالنسبة لك.. اللهم به فارحمنا.. اللهم به فحققنا.. اللهم به فصلنا.. اللهم به فأوصلنا.. اللهم منه فاتصلنا.. اللهم اجعله لنا في الدنيا والآخرة فيك غايتنا في الدنيا والدين والعلم واليقين، نعرفه فنعرفك، ونشهده فنشهدك، نتوحده فنتوحدك، وقد جعلته نبي الأنبياء وقدوة الأولياء وشهيدا على الشهداء، كما جعلته لكل قوم هاد، ولكل عصر هاد على مكث يبين، قدوة دائمة متجددة متصورة للعالمين.

نتلاقى معنا، فنتلاقى به، فنتلاقى في لقائه بك فنجددنا معك فنراه رحمة السموات والأرض، وعبدا لك في خدمة أهل السموات والأرض دارا له لأنه عبد رحمتك لنا، السموات والأرض وما فيهما، أعدها عدا وتأتيه في طلبها لك فردا وعبدا، لأنه عبد لانهائيك لرفيق أعلى في دوام وفي سلام. اللهم يا من به عرفناك وقدرناك، وبالعظمة أكبرناك، وبالعجز أدركناك.. اللهم به فارحمنا.. اللهم به فأحينا.. اللهم به فابعثنا.. اللهم به فوفقنا، ويسر فيك أمورنا حكاما ومحكومين، وأنزل به سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا.

أضواء على الطريق

حاول أحد الأعضاء لدائرة روحية مقارنة تقدم المعرفة الروحية بالنمو الروحي في الديانات القديمة، فنصح السيد الروح المرشد (برش) بعدم عقد مثل هذه المقارنة قائلا: (حقا لقد انطلق من عالمي منذ مائة سنة تقريبا بحساب زمنكم مجهود منظم بناء على خطة موضوعة بكل ما فيها من تفاصيل، واستقر العزم على أن الحق الروحي قد جاء هذه المرة لأجل أن يبقى. ولا توجد قوة على الأرض في استطاعتها أن تمنعه.

لقد نجحنا.. ولكن يجب أن نتذكروا أننا لا نفكر في الروحية كشيء يمكن مقارنته بالديانات الأخرى. إنها بالنسبة لنا قانون الكون الطبيعي. إنها ليست تعاليما تتبلور وتصاغ في مواد ثابتة تطاع. وما كانت الديانات القديمة سوى وسيلة للتعبير عن القانون الطبيعي. لكل زعيم ملهم جاءت الرؤيا والإلهام وفهم القانون الطبيعي فتصرف على حسب العصر الذي عاش فيه. وكما تلقاها النبي نقلها لمن كان لديهم استعداد للقبول.

كان ذلك جزءا من الحق ثم أصبح هذا الجزء للأسف محملا فوق طاقته، فلم يستطع الحق البسيط أن يبقى على فطرته وجماله، لقد غدا مزيجا بما أضيف إليه من الأساطير اللاهوتية، والتجارب الدينية،

والتقاليد الموروثة حتى اندثر كلية ما يتعلق بالروح العظيم، وظهرت الحاجة من جديد لبعث وإحياء ما دفنه الإنسان.

إن كل ديانات الماضي- بدون استثناء - جزء من نفس ذلك الإلهام الذي يصل إلى عالمكم اليوم. ومن الصعب الموازنة بين الواحدة والأخرى لأنها جميعا مظاهر للحق. والظروف الآن قد تغيرت).

مصادر التوثيق والتحقيق

١ حديث شريف ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكتاني بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي."

٢ من الحديث الشريف: (مَتَى أَلْقَى أَحْبَابِي؟)، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: بِأَبِينَا أَنْتَ وَأُمِّنَا أَوَلَسْنَا أَحْبَابَكَ؟، فَقَالَ: (أَنْتُمْ أَصْحَابِي، أَحْبَابِي قَوْمٌ لَمْ يَرَونِي وَآمَنُوا بِي، وَأَنَا إِلَيْهِمْ بِالأَشْوَاقِ لأَكْثَر. رواه أبو الشيخ الأصبهاني في " ثواب الأعمال "، كما في " كنز العمال "، والقشيري في " الرسالة "، والديلمي في " الفردوس."

٣ حديث شريف من حديث أبي جمعة - رضي الله عنه - قال: "تغدينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعنا أبو عبيدة بن الجراح، فقال: يا رسول الله، أحد منا خير منا؟ أسلمنا وجاهدنا معك، قال: نعم، قوم يكونون من بعدكم، يؤمنون بي ولم يروني." رواه الدارمي وأحمد والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وإسناد الدارمي. وعبارة "لهم من الله ما لي" عبارة يذكرها السيد رافع أحيانا مع هذا الحديث الشريف.

٤ من الحديث الشريف: (مَتَى أَلْقَى أَحْبَابِي؟)، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: بِأَبِينَا أَنْتَ وَأُمِّنَا أَوَلَسْنَا أَحْبَابَكَ؟، فَقَالَ: (أَنْتُمْ أَصْحَابِي، أَحْبَابِي قَوْمٌ لَمْ يَرَونِي وَآمَنُوا بِي، وَأَنَا إِلَيْهِمْ بِالأَشْوَاقِ لأَكْثَر. رواه أبو الشيخ الأصبهاني في " ثواب الأعمال "، كما في " كنز العمال "، والقشيري في " الرسالة "، والديلمي في " الفردوس."

٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٦ إشارة إلى معنى جاء في أحاديث شريفة متعددة: " إن عليا مني وأنا منه". رواه الترمذي والنسائي في السنن الكبرى. و" حسين مني وأنا منه". أخرجه الترمذي وابن ماجه، وأحمد باختلاف يسير. أيضا: في حق جليبيب لما استشهد بعد قتله سبعة من المشركين، فقال صلى الله عليه وسلم: هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه. رواه مسلم.

٧ حديث شريف: "إنما أنا رحمة مهداة." أخرجه ابن سعد والحكيم والحاكم.

٨ حديث شريف: "أنا فرطكم على الحوض فمن ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدا ليَرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن بدل بعدي." أخرجه مسلم، والبخاري في صحيحه.

٩ دعاء مأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وذكر في كتاب "بحار الأنوار" من المكتبة الشيعية.